توظيف كأنّ والكاف وأثرهما في التعبير القرآني

الكلمة المفتاح: عَبَّر ، أثر ، شبه

البحث مستل من رسالة ماجستير

أ.د. إياد عبد الودود عثمان الحمداني **طالب الماجستير**

جامعة ديالى/ كلية التربية للعلوم الإنسانية **أحمد خلف عبدالله منهل**

metonymyman@yahoo.Com **khalafAhmed477@yahoo.Com**

الملخص

بحثنا الموسوم بـ (توظيف كأنّ والكاف وأثرهما في التعبير القرآني) يفترض أن هناك تأثيراً واضحاً لـ (كأنّ والكاف) في التعبير القرآني على وفق رؤية أسلوبية في سياق الصور التشبيهية ؛ إذ إن هذا التوظيف يكشف عن جوانب من طرائق التعبير الذاتية للقرآن استناداً إلى أمثلة منتقاة بطريقة تعطي تصوّراً وافيا عن تلك الطرائق التي قد تتعدى حدود الصورة إلى مستوى المشهد.

المقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ، وبعد :

فقد اتخذ البحث في التعبير القرآني منطلقاً لهذه الدراسة (توظيف كأنّ والكاف وأثرهما في التعبير القرآني) ؛ لما تضفيه (كأنّ والكاف) من إمكانات أسلوبية بيانية تجعل التعبير ذا خصوصية أدائية ترتبط بالصور والمشاهد ، وقد افترض البحث أن (لكأنّ والكاف) فاعلية تعبيرية في السياق الذي يظهر فيه التشبيه على وجه الخصوص ، وإنّ حيوية التعبير القرآني تستند على وفق العلاقة المنتظمة بين مكونات النظم إلى السياق القرآني مما يعطيه إمكانيات اسلوبية واضحة .

استعان البحث بمنهج التحليل البلاغي الذي يفيد من الرؤية الأسلوبية ، وتجاوز الحكم المعياري المجرّد ، واختار البحث هذا الموضوع للكشف عمّا يؤثر في التعبير القرآني في سياق توظيف (هاتين الأداتين)؛ لما لهما من تأثير كبير في تقريب المعنى بين طرفي التشبيه لمناسبة تجمع بينهما وهذا ما شكل ظاهرة بارزة من مظاهر التعبير القرآني.

إن لوجه الشبه منجزاً أسلوبياً كانت الأداة مفتاحاً للكشف عنه، وبسبب ذلك كانت مرتكزات البحث ومباحثه تنطلق من عنصر الأداة الذي نبحث فيه الذي يعد واحداً من أهم مولدات الشعرية (poetics) في التعبير القرآني .

الأداة (كأن) وأثرها في سياق الصورة:

إن لأداة التشبيه (كأن) معطيات دلالية كبيرة قد لا نجدها عند الأدوات الأخرى، فهي ذات ((إمكانيات كبيرة في تشغيل الخيال وتحريك عناصر الصورة ، غالبا ما تُدخل المتلقي في أجواء تأملية [...] فهي تُرسخ الصورة وتحررها من المنطق))[١]، ويبدو واضحاً أن الأداة (كأن) شكلت ملمحاً فنياً في سياق التعبير القرآني، قال تعالى : ((كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (١٩) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ)) (القمر : ٥٤ / ١٨ – ٢٠) .

إن للأداة (كأن) فاعلية في كيفية الدخول وتأمل الصورة في الطرف الثاني ((أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ)) التي ذوبت العلاقة بين طرفي التشبيه ضمن السياق العام ، وهو ((تشبيه مرسل تمثيلي))[٢] ، وقد يكون المقصود من التشبيه بـ (أعجاز النخل) ؛ لأنها تبقى بادية للأعيان على الرغم من خلوّها من الأرواح لمدة زمنية طويلة فتشكل أثرا مشيرا لهذا المشهد في كل زمان ومكان ، والمنقعر يعني ((المنقلع من منبته وكذلك : (الخاوية) .. معناها : معنى المنقلع))[٣]،أي أصبح حال اجتثاثهم حال أعجاز النخل المنقعر الذاهب الذي لم يبقَ منه شيء [٤] فتأمل حال هؤلاء أصبح بين متناول الخيال البشري من خلال تقريب الصورة بمشهد يجعله أكثر تأملا وإدراكا .

وفي قوله تعالى: ((فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ)) (الحاقة : ٦٩ / ٥ – ٨) ، تتبيّن الصورة ، وتتجلى الفكرة لما تعطيه الأداة من تبيين في السياق ؛ فهي الرابط بين المشبه ((فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى)) الذي جرى مجرى المجاز ، والمشبه به ((كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ)) ويمكن تلخيص ذلك في الآتي:

((فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى)) ـــــ وقوله ـــــ ((فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ))

فالمجاز في الطرف الأول للتشبيه يجذب القارئ ؛ ولكن هذا الجذب يزداد أكثر مع ارتقاء المشهد في تأمل الصورة التشبيهية بتوظيف الأداة التي تعد المنفذ الذي يطل على

المعنى اللاحق الذي يمثله الطرف الثاني: ((كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ)) وان وصف أعجاز النخل بـ (الخاوية) جاء بأداء موسيقي منسجم مع نهاية الجملة اللّاحقة في لفظة (باقية) ، ثم يرتقي المشهد إلى مستوى آخر من الخطاب للمقابل وهو السؤال في قوله تعالى: ((فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ)) التي تجعل المتلقي يعيد النظر بما سبقها من متناول الخيال ؛ لأن الخطاب اتجه نحوهُ بصورة مباشرة لاستحضار السياق السابق ضمن المشهد العام .

وفي قوله تعالى: ((فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ (٦) خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ (٧) مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ)) (القمر:٥٤ / ٦ – ٨) ، ظهرت الأداة (كأن) في سياق تبيين حالة الخروج من الأجداث باقترانها بصورة انتشار الجراد فهي صورة حركية جمعية تكون باتجاه واحد ، واقتران هذا المشهد بموسيقى مثلها إيقاع سريع شاخص متحرك اقترن بالمشبه به مكتمل السمات والحركات: هذه جموع خارجة من الأجداث في لحظة واحدة ((ومشهد الجراد المعهود يساعد على تصور المنظر المعروض))[٥]؛ لما يحمله من علاقة دلالية بين طرفي التشبيه اللذين يحملان الكثير من التأويل[٦] بما هو محسوس من حال هذه المخلوقات.

الأداة (الكاف) في سياق التعبير القرآني :

إن للتعبير القرآني أسلوبه الخاص في عملية الجمع بين المتباعدات ؛ قال تعالى:((اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)) (النور: ٢٤ / ٣٥) ، فكأن مصدر النور[٧] قد مثله لفظ الجلالة (الله) الذي يضيء في كل زمان ومكان ، حين قال تعالى:((اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ ...)) وهو أقل منه بدرجة لا بمقاييس العقل البشري والواقع والمنطق وحتى في المستوى الأدبي الذي يشير إلى ((شرط بلاغة التشبيه إن يشبه الشيء بما هو أكبر منه وأعظم))[٨]، على وفق الرؤية المعيارية ؛ ولكن التصوير القرآني من خلال أسلوبه في التوظيف للسياق الذي اشتمل على أسلوب التشبيه بالأداة (الكاف) التي دمجت بين الصورتين المتباعدتين لطرفي التشبيه (نور الله والمشكاة)، بمشهد يؤدي إلى تأمل الصورة المراد التعبير عنها ، والأسلوب القرآني بهذا الأداء ((ينسف معيارية التشبيه))[٩] القائمة على الأسس المعروفة في الوسط الأدبي التي تشير إلى التشبيه بما هو أعظم[١٠] ، ثم ترتقي الصورة إلى مستوى آخر حين

يجذب الذهن البشري لتلقي الصورة اللاحقة حين شبّه (الزجاجة) بـ (الكوكب الدري) بوساطة الأداة التشبيهية (كأنّ) التي مثلت المفتاح اللاحق لتوالي الصور وتجدد المعطيات فتعد ظاهرة بينة من مظاهر التأثير في ديمومة التعبير القرآني وحيويته .

توظيف الأداة (الكاف) من دون صورة تشبيهية :

قال تعالى: ((وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا)) (البقرة:٢ / ٢٨٢) ، الأداة لم تعطِ معنى للمشابهة، بل استحضرت في السياق لتبين حال الأمر المتبع (الكتابة) ، وقوله تعالى: ((فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (هود : ١١ /١١٢) ، كذلك الأداة في هذا الموضع لم تعطِ معنى المشابهة بمفهومها الفني وإنما بيّنت ماهية الاستقامة بطريق توظيفها داخل سياق التعبير القرآني.

اقتران أداة التشبيه (الكاف) بتكرار مثل:

إن من الخصائص التعبيرية لتوظيف أداة التشبيه (الكاف) تقع بين مثلين، منها قوله تعالى:((مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)) (البقرة: ٢ /٢٦١)، فقد بين الله سبحانه مقدار ما ينفق في سبيله بما هو يتضاعف ويتكاثر على مرِّ السنين ، فاستهلت هذه الآية الكريمة بـ (مثل) التي لها أثرها في استقبال المخاطب لما هو آت من جملة التشبيه ، وما تحمله من تعبير عن المعنى ، ((فضرب بها مثل المنفقَ في سبيل الله ماله))[١١]، وتبيينه بما هو محسوس لدى الإنسان في كل زمان ومكان ، وهذا تبيين لقيمة الشيء الذي ينفق في سبيل الله ، فتم التعبير عن بيان هذه الصورة بطريق التشبيه بين المثلين بالأداة (الكاف) الملتصقة بالمثل الثاني، فقد قرّ من خلالها المتباعدات ضمن سياق تعبيري ضم الأركان الرئيسة لجملة التشبيه.

وهذا التمثيل تصوير للازدياد المستمر لما ينفق في سبيل الله بما هو محسوس ذو أثر معلوم بصورة بينة لدى المخاطب، وتبيينا لمستويات حال المنفقين ، فمنهم من يزيد أضعافا لمن يستوجب ذلك[١٢] مع الاتساع في تبيين الصورة بمراحل تبيينية على وفق مراحل تدريجية معينة مراعية الذهن البشري في استيعاب الصور ككل الواحدة تلو الأخرى بمشهد تعبيري ينتهي بتبيين حال الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله في قوله تعالى: ((لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ))(البقرة: ٢ /٢٦٢)، ثم يأتي المشهد المكمل

للمشهد الأول ليتحقق الأسلوب نفسه الذي عبّر عن التوصية بعدم إلحاق ما ينفق بالمنّ والأذى كما جاء في قوله تعالى: ((يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)) (البقرة: ٢/٢٦٤)، ((فقد شبه إنفاق الأموال رئاء الناس ثم إتباع ذلك بالمنّ والتطاول بالإحسان بالتراب الذي يوضع على الصخر الأملس يأتي عليه الوابل من المطر فيذروه ويذهب به ولا يترك له أثرا))[١٣]، فالمشهد ذو صور تبيينية الواحدة مكملة للأخرى تستند إلى التشبيه الذي جاء مبينا لحال الذين ينفقون أموالهم فيتبعونها بالمنِّ والأذى مبينا حال هؤلاء بما له من أثر نفسي وأبعادٍ حقيقية بعملية الإنفاق مثله (القلب) ((هذا القلب الصلد المغشي بالرياء يمثله «صَفْوانٍ عَلَيْهِ تُرابٌ» حجر لا خصب فيه ولا ليونة، يغطيه تراب خفيف يحجب صلادته عن العين، كما أن الرياء يحجب صلادة القلب الخالي من الإيمان))[١٤] ، فانكشف المظهر من خلال تبيينه بما له علاقة بإنتاج وجه الشبه وقد تَعَدّت إلى (الطرف الثاني)؛ لإدراك المفهوم الحقيقي الناتج من خلال الصور التشبيهية ((لما ذكر تعالى بطلان أمر الصدقة بالمنِّ والأذى ذكر لكيفية إبطال أجرها بهما مثلين فمثله أولا بمن ينفق ماله رئاء الناس وهو مع ذلك كافر بالله واليوم الآخر فإن بطلان أجر ما أنفقه هذا الكافر أظهر من بطلان أجر من يتبعها بالمنِّ والأذى ثم مثله ثانيا بالصفوان الذي وقع عليه تراب وغبار ثم أصابه المطر فأزال ذلك الغبار عنه حتى صار كأنه ما كان عليه تراب وغبار أصلا))[١٥]، فتبينت حقيقة الأمر بصورة جلية حينما يكون المعنى المقصود الذي يدركه السامع بإمعان ناتج بأسلوب يعتمد تقريب المعنى بعرض مشهد تمثيلي الذي امتاز بمظهر التلاحق في التصوير الذي يريد المشهد بياناً وإدراكا؛ لأن الصورة تتبين بصورة أخرى تالية لها.

التصاق (الكاف) بـ (مثل):

إن التعبير القرآني في سياق التشبيه جاء موظفا للأداة بطرائق شتى ، ومنها التصاق الأداة (الكاف) بـ (مثل): (كمثل) ووردت هذه الأداة بهذه الصيغة ثلاث عشرة مرة في القرآن الكريم ، بطرائق توظيف متعددة داخل السياق القرآني .

قال تعالى:((اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ)) (الحديد: ٥٧/٢٠)

، ان التعبير القرآني في بداية الآية الكريمة يعبرّ عن المعنى بصورة بينة ذات مقاييس معلومة بما هو ملموس ، ((والحياة الدنيا حين تقاس بمقاييسها هي وتوزن بموازينها تبدو في العين وفي الحسّ أمرا عظيما هائلا. ولكنها حين تقاس بمقاييس الوجود وتوزن بميزان الآخرة تبدو شيئا زهيدا تافها))[١٦]؛ ولكن الصورة تتضح أكثر عند المخاطب عندما يشبه بشيء محسوس من بيئته نفسها ، فالأداة الكاف الملتصقة بـ (مثل) = (كمثل) التي من خلالها يمكن الوقوف عند تمام الصورة ، لما أعطته من تقريب بين طرفي التشبيه ، والدخول إلى المعنى المتخيل المشبه به الذي يتجلى في ذهن المتلقي ((كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا))، ((فهو تمثيل للحياة الدنيا في سرعة انقضائها وقلّة جدواها بحال نبات أنبته الغيث فاستوي وأعجب به الحراث أو الكافرون))[١٧]؛ فالاستمتاع في الحياة الدنيا بما فيها ما هو إلا وقت قصير جدا ومهما كان طوله فأنه سينتهي وهذا ما يبدو واضحا في المشبه به[١٨] ، والذي زاد المعنى وضوحا، والسياق الذي تضمن كيفية التعبير عن المعنى المراد ، فالسياق جاء ((للتزهيد في الدنيا وأنها ظل زائل لا حقيقة لها: {ثم} أي بعد تناهي جفافه وابيضاضه {يكون} أي كوناً كأنه مطبوع عليه، وأبلغ سبحانه في تقرير اضمحلاله بالإتيان مع فعل الكون هنا للمبالغة؛ لأن السياق لتقرير أن الدنيا عدم وإن كانت في غاية الكثرة والإقبال والمؤاتاة بخلاف ما مضى في الزمر فقال: (حطاما)} كأن الحطامية كانت في جبلته وأصل طبعه))[١٩]، وصف حال الدنيا بأنها مهما تكن من النضارة والخضرة فهي إلى زوال، و((لا يقصد بها القرآن العزلة عن حياة الأرض، ولا إهمال عمارتها وخلافتها التي ناطها بهذا الكائن البشري، إنما يقصد بها تصحيح المقاييس الشعورية والقيم النفسية))[٢٠]، تجاه كل شخص، فبين له حال الدنيا بصورة بينة من خلال تقرير ماهية الدنيا بقوله تعالى: ((وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ)) (الحديد:٢٠/٥٧) فالجزم بهذا الحال للحياة الدنيا لم يأتِ بصورة مباشرة ؛ لكن جاء بعد سلسلة توضيحية لماهية الحياة الدنيا من خلال تشبيهها بما هو محسوس، ((والنتيجة واضحة بين أمرين الجنة أم النار))[٢١]، وقوله تعالى: ((وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ)) (الحديد: ٢٠/٥٧) يذكرنا ببواعث المقاربات الأسلوبية بين القرآن الكريم والتراث اللغوي العربي المتمثل بالنتاجات الأدبية العربية بصورة عامة ونتاجات الشعر الجاهلي بصورة خاصة، منها قول زهير بن أبي سُلمى في معلقته:

وَمَا الْحَرْبُ إلّا مَا علمتُمْ وَذُقتُمُ وَما هوَ عَنها بالْحَديثِ الْمُرَجَّمِ[٢٢]

وهذا الأسلوب يتميز بتعالقه التركيبي مع الأسلوب القرآني في قوله تعالى: ((وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ)) (الحديد ٢٠/٥٧) ، من الناحية الأسلوبية في التعبير عن المعنى بصورة معينة .

التصاق (الكاف) بـ (ما):

أورد التعبير القرآني (الكاف) ملتصقة بـ (ما)، فمثّلت حضورا بارزا في توظيفها في السياق القرآني بطرائق متعددة، ومن صفات ومميزات ورود أداة التشبيه (كما) بهذه الصيغة في الغالب تجمع بين طرفي التشبيه اللذين يمثلان فعلين.

فعل + الأداة – كما– + فعل

وبلغ ورودها في هذه الصيغة (كما) ثماني وخمسين مرة بأساليب توظيف متعددة على وفق ما يتطلبه المعنى من أسلوب بياني معين؛ كي يكون الأسلوب الصفة الملازمة والهوية الملتصقة التي تميز العمل عن غيره لأداء المعنى بصورة خاصة به ، فالأسلوب هو (البصمة) لصاحب العمل وعمله ؛ ومن خلال الأسلوب تعرف الصورة المُمَيَّزة عن غيرها، ويكون الأسلوب إشارة واضحة لإمكانيات صاحبه، فعندما يكون المعنى المراد التعبير عنه واحدا أو ذا علاقة قريبة لا يمكن التمييز بين طرائق التعبير والصور المُمَيَّزة إلا من خلال أسلوب التعبير عن المعنى، فورود أداة التشبيه بهذه الصيغة (كما) لها خصوصيتها الأسلوبية في السياق القرآني ، ففي قوله تعالى: ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ)) (البقرة: ٢ /١٣) ، جاءت الدعوة بأسلوب التشبيه ((آمِنُوا كَمَا آمَنَ)) ، بتوظيف (الكاف) الملتصقة بـ (ما) ، التي أعطت هيئة الدخول لصورة المشبه به ، إذ جاء بصيغة الفعل الماضي ((آمَنَ النَّاسُ)) وهذا يحيلنا إلى الاهتداء لدى حال الذين يؤمنون إيماناً خالصاً متجرداً من الأهواء[٢٣].

فالتعبير القرآني وظف التشبيه بين الفعلين (آمنوا) و (آمن) في الدعوة إلى الإيمان وتبيينه لهم بهذا الأسلوب ، ثم جاء الردّ بصورة مقابلة لصورة الدعوى ، وهي صورة تعبّر عن رأي الكافرين بالأسلوب نفسه ((أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ)) تشبيه الفعل بالفعل ، فالاستفهام في الطرف الأول خرج من معناه الأصلي إلى معانٍ أخرى تعرف من خلال السياق[٢٤]، ومنها ((الإنكار مع السخرية والاستهزاء))[٢٥] الذي تبين بطريق التعبير عمّا في أنفسهم ، فهناك مفارقة كبيرة يرسمها السياق التي تبين دعوة كل فريق.

ورد في التعبير القرآني توظيف أكثر من أداة تشبيه ضمن سياقات الجمل التعبيرية لجمل التشبيه ، والسياق العام للجملة هو الذي يحفظ العلاقة الحيوية للصور التشبيهية ، ويعطي المعنى المراد من خلال الدلالات التي تشير إليها تلك الصور التي تعد الواحدة مكملة للأخرى ، لتنتج المشهد الرئيس المرتسم لصور بيانية معبّرة عن المعنى المراد، قال تعالى: ((لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (١٤) كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٥) كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ)) (الحشر:١٦/٥٩) استهلّ المشهد بمطلع يبيّن تشبيه حال المنافقين من بني النظير بحال الذين من قبلهم من بني القينقاع [٢٦] ، فشبّه الطرف الأول (اللاحق) ، بالطرف الثاني (السابق) بتوظيف أداة التشبيه (الكاف) الملتصقة بالمثل كما في قوله: (كمثل)، ((أَيْ كَحَالٍ كَائِنٍ قَرِيبٍ))[٢٧]، التي أعطت للمتلقي مدخلا جديدا لصورة لاحقة ضمن المشهد التعبيري للسياق العام الذي يظهر فيه طرفا التشبيه ، فتشكلت صورة بيانية لوصف حال الإنسان بنفسه (من جنسه) ذات قرب زمني بين حال طرفي التشبيه الذي يشكل أثرا واضحا لحال اللاحقين ، وهذا ما عبّر عنه القرآن الكريم ، إذ قال تعالى: ((وَما قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ)) (هود: ١١/ ٨٩)، لما يحمله القرب الزمني للأحداث السالفة من أثرٍ أبلغ عندهم من سواهم من الأقوام اللاحقة ، ثم شَبَّهَتْ هذه الصورة المستخلصة من الطرفين بصورة أخرى من جنس آخر وهو (الشيطان) وهذا ما ورد في قوله تعالى: ((كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ)) (الحشر: ٥٩ / ١٦)، وقد وردت أداة التشبيه بالصيغة نفسها مع المشبه به الثاني (الشيطان) ((وصورة الشيطان هنا ودوره مع من يستجيب له من بني الإنسان، تتفقان مع طبيعته ومهمته. فأعجَبَ العَجَب أن يستمع إليه الإنسان. وحاله هو هذا الحال! وهي حقيقة دائمة ينتقل السياق القرآني إليها من تلك الواقعة العارضة. فيربط بين الحادث المفرد والحقيقة الكلية، في مجال حي من الواقع ولا ينعزل بالحقائق المجردة في الذهن))[٢٨]، فتتمثل الصور المرادة من خلال تبيين ذلك بالتشبيه الذي يرسم مشهداً تمثيلياً في ذهن المتلقي وهذا ما لوحظ جيدا في الطرف الثاني للتشبيه في قوله تعالى: ((كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ))(الحشر : ٥٩ / ١٦) ،((ثم بين سبحانه وجه الشبه فقال: (إذ قال للإنسان أكفر) أي أغراه بالكفر: وزيّنه له وحمله عليه،

والمراد بالإنسان هنا جنس من أطاع الشيطان من نوع الإنسان))[٢٩] وقد تميز المشهد بالمحاورة بين كلا الجنسين ، فالمشبه واحد والمشبه به مثّلَهُ اثنان: الأول إنسان والثاني الشيطان اللذان يثيران مبدأ التوازن بين كلا الجنسين في التعبير القرآني الذي جاء مبينا لحال المنافقين ((إلى تلك النهاية البائسة، يضرب لهم مثلا بحال دائمة، حال الشيطان مع الإنسان، الذي يستجيب لإغرائه فينتهي وإياه إلى شر مصير))[٣٠]، ،فهذه هي الواقعة التي تشير إلى الدعائم المنهجية الرئيسة التي بينت حال الشيطان تجاه الإنسان بمشهد ذي صورتين بينتين الأولى بما هو قريب جدا من حال الإنسان بالإنسان ، والأخرى تشبيه حال الإنسان بالشيطان بتوظيف الأداة نفسها بمشهد تمثيلي يقوم على الحوار بين الإنسان والشيطان ؛ لتقريب الصورة وتبيين حال بني النظير من جهة وحال جنس الإنسان مع الجنس الآخر (جنس الشيطان) ، التي تُعدّ بمجملها مشهدا ذهنيا يتضمن((هذا الحشد من الصور والحقائق والتوجيهات. واتصلت أحداثها المحلية الواقعة بالحقائق الكبرى المجرّدة الدائمة. وكانت رحلة في عالم الواقع وفي عالم الضمير، تمتد إلى أبعد من حدود الحادث ذاته))[٣١]، ويمكن القول إن ((الحقائق المجرّدة الباردة لا تؤثر في المشاعر، ولا تستجيش القلوب للاستجابة. وهذا فرق ما بين منهج القرآن في خطاب القلوب، ومنهج الفلاسفة والدارسين والباحثين!))[٣٢]، فالتعبير القرآني يمتاز بأساليب تجعله أسلوبا حيا ناطقا بصور متجددة على وفق معنى يستقطب المتلقي وخاصة حينما يكون المشهد بين جنسين متباعدين (الشيطان والإنسان) لمناسبة تجمعهما وهو الميدان المتضمن كل عمل خارج عن رضا الله سبحانه وتعالى.

الخاتمة

إنَّ التعبير القرآني يتمتع بقيم تصويرية تضفي حياة متجددة ؛ إذ إن موضوعنا الموسوم بـ (توظيف كأنّ والكاف وأثرهما في التعبير القرآني) يرتكز على معطيات تولدها (كأنّ والكاف) داخل السياق القرآني؛ لأن هذه المعطيات تشكل ظاهرة بارزة من مظاهر التعبير القرآني بسبب الحضور المستمر لهذين الأداتين ذات المظاهر المتجددة .

وبدا واضحاً أنّ التجدد في التشبيه يقترن بظلّ مظاهر التعبير في إحياء الصور التشبيهية وتقريبها من الذهن، ورصد البحث ان هناك نمواً عضوياً للتشبيه يتحقق في المعطيات البيانية لمكونات الجمل التشبيهية ومنها الأداة التي رصد البحث منه (كأنّ

والكاف)، لما يمثلانه من خصوصية أدائية تعبيرية، ويمكن إجمال الملاحظات العلمية والنتائج التي توصل إليها البحث في الآتي :

١ـ يحقق وجه الشبه منجزاً أسلوبياً واضحاً، إذ كان مفتاح التعامل معه ينطلق من الأداة بوصفها عنصراً فاعلاً في توليد الشعرية (poetics) في التعبير القرآني .

٢ـ قد يسهم الإيقاع في إظهار نوع من الانسجام بين الصورة التشبيهية وطبيعة العناصر المكوّنة لها .

٣ـ كان لعنصر الحركة فاعلية في سياق التعبير القرآني المقترن بالتشبيه .

٤ـ تعد الأداة (كأن) مفتاحاً تصويرياً إغرابياً تذوب فيه العلاقة بين طرفي التشبيه في أغلب السياقات التعبيرية التي أوردها القرآن .

٥ـ قد تحقق أداة التشبيه (الكاف) ترابطاً بين طرفي التشبيه ، بيد أن هذا الترابط يقوم بوظائف توضيحية لا علاقة لها بالتصويرية التي يبحث فيه التعبير القرآني .

٦ـ يقترن الكاف بـ (مثل) بعد تكرار (مثل) في سياقات خاصة بالتعبير القرآني ، وقد تلصق الكاف بـ (مثل) في مقامات أخرى من دون التكرار المشار اليه .

٧ـ تقترن الكاف بـ (ما) في الكثير من المقامات والسياقات .

٨ـ يتحقق توظيف أدوات التشبيه نوعاً من (الاتساع) في المعنى الذي يرتبط بالإيحاء والتصوير والتعبير القرآني .

٩ـ إن لأدوات التشبيه خصوصية تتميز بها كل واحدة عن الأدوات الأخرى من جوانب عديدة منها ما يتعلق باختلاف بنية كل أداة وما يتصل بها ، وطريقة توظيفها داخل السياق وما تؤديه من تأثير مباشر في السياق التعبيري لبيان المراد.

١٠ـ الأداة (كأنّ) لها مزية فنية في فتح أفق الخيال واستدراك تأمل المتلقي فتتفوق على أدوات التشبيه الأخرى؛ ولكن هناك أدوات أخرى كـ (الكاف) تتميز برؤية اسلوبية في التعبير القرآني، إضافة إلى ذلك تشكل حضورا اكثر من الأدوات الأخرى، وغالباً تأتي مع الاسم (بصيغة المفرد).

Employing Alkaf and Ka'an and their effect on Quranic Expressions

Keywords: expressed Effect Symblised

Research Extracted from an M.A. Thesis

Prof.Dr :Ayaad A. Al-Hamadani

University of Diyala College of Education for Human Sciences
metonymyman@yahoo.com

Ahmed Khalaf Abdullah Munhall
E-mail: khalaf ahmed477@yahoo.com

Abstract

The research entitled (Employing Alkaf and Ka'an and their effect on Quranic Expressions) is assumed to find an obvious effect for (Alkaf and Ka'an) in Quranic expressions according to stylistics vision in similar illustrations. This employment exposes aspects of methods in Quranic expressions according to selective examples in a way that gives full picture about these methods that might pass the limits of the illustration to a scene level.

الهوامش

(١) التصوير المجازي : ٣٦ .

(٢) إعراب القرآن وبيانه : ٩ / ٣٨١ .

(٣) تهذيب اللغة : ٧ / ٢٤٧ .

(٤) ينظر : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز : ٤ / ٢٨٧ .

(٥) ينظر : في ظلال القرآن : ٦ / ٣٤٢٩ .

(٦) التصوير المجازي : ٣٨ .

(٧) ينظر : المصدر نفسه : ٣٠

(٨) المثل السائر : ٢ / ١٣٢

(٩) التصوير المجازي : ٣٠

(١٠) ينظر : المثل السائر : ٢ / ١٢٢ .

(١١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (الطبري) : ٥/ ٥١٤

(١٢) ينظر: الكشاف : ١ / ٢٩٠ ، ٢٩١.

(١٣) إعراب القرآن وبيانه : ١ / ٤١١.
(١٤) في ظلال القرآن : ٢٠٩/١ .
(١٥) روح البيان : ١/ ٤٢٢ .
(١٦) في ظلال القرآن : ٦ / ٣٤٩١.
(١٧) إعراب القرآن وبيانه : ٩ / ٤٧٠.
(١٨) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (الطبري) : ٢٣/ ١٩٣.
(١٩) نظم الدرر : ١٩/ ٢٨٩ –٢٩٠.
(٢٠) في ظلال القرآن : ٦ / ٣٤٩١.
(٢١) ينظر : معاني القرآن للفراء : ٣/ ١٣٥
(٢٢) شرح المعلقات السبع : ١٤٣
(٢٣) ينظر : في ظلال القرآن :١ / ٤٤ .
(٢٤) ينظر إعراب القرآن وبيانه : ١ / ٣٦.
(٢٥) صفوة التفاسير : ١ / ٣٠.
(٢٦) ينظر : في ظلال القرآن : ٦ / ٣٥٣٠ ، وينظر : تفسير الخازن : ٤ / ٢٧٥.
(٢٧) التحرير والتنوير : ٢٨/ ١٠٨ .
(٢٨) في ظلال القرآن : ٦ / ٣٥٣٠.
(٢٩) فتح البيان في مقاصد القرآن : ١٤ / ٦١
(٣٠) ينظر : في ظلال القرآن : ٦ / ٣٥٣٠.
(٣١) ينظر : المكان نفسه.
(٣٢) في ظلال القرآن : ٦ / ٣٥٣٠.

المصادر والمراجع

❖ **القرآن الكريم.**

- إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت: ١٤٠٣هـ)، دار الإرشاد للشؤون الجامعية ، حمص – سورية، (دار اليمامة – دمشق – بيروت)، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت) ط٤، ١٤١٥هـ .
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، تح: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ، الأجزاء: ٦جـ ١، ٢، ٣: ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م ، جـ ٤، ٥: ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م ،جـ ٦: ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣م.

- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ). الدار التونسية للنشر– تونس، ١٩٨٤م .
- التصوير المجازي ، أنماطه ودلالاته في مشاهد القيامة في القرآن الكريم أ.د. إياد عبد الودود الحمداني ، دار مجدلاوي – عمّان – الأردن ، ط١ ، ٢٠١٣م – ٢٠١٤م .
- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ) تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت ط١، ٢٠٠١م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تح: أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة، ط١ ، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م .
- روح البيان ، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (ت: ١١٢٧هـ) ، دار الفكر – بيروت ، (د . ت).
- شرح المعلقات السبع ، حسين بن أحمد بن حسين الزَّوْزَني، أبو عبد الله (ت: ٤٨٦هـ)، دار إحياء التراث العربي ، ط١ : ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢ م
- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة ، ط١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.
- فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م .
- في ظلال القرآن ، سيد قطب إبراهيم حسين الشارابي ، (ت ١٣٨٥هـ) ، دار الشروق ، بيروت ، القاهرة ، ط١٧ ، ١٤١٢ هـ .
- الكتاب ، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب بـ سيبويه (ت:١٨٠هـ) ، تح: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط٣ ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ)، تح: يوسف الحمادي ، مكتبة مصر ، ط١ – ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.
- لباب التأويل في معاني التنزيل ، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت: ٧٤١هـ) ، تح : محمد علي شاهين ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، – ١٤١٥ هـ .
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، (ت: ٦٣٧هـ)، قدم له وحققه وشرحه وعلق عليه: د. أحمد مطلوب ، د. بدوي طبانة ، منشورات دار الرفاعي للطباعة، الرياض ، المملكة العربية السعودية، ط٢، الجزءان الأول والثاني ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، الجزء الثالث ، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .
- معاني القرآن ، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت: ٢٠٧هـ) ، تح : أحمد يوسف النجاتي ، محمد علي النجار ، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي ، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر ، ط١ (د . ت).
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (د. ت) .